تفسير ابن كثير

يذكر تعالى في هذا المقام محتجا على مشركي العرب بأن البلد الحرام بمكة إنما وضعت أول ما وضعت على عبادة الله وحده لا شريك له وأن إبراهيم الذي كانت عامرة بسببه آهلة تبرأ ممن عبد غير الله وأنه دعا لمكة بالأمن فقال : { رب اجعل هذا البلد آمنا } وقد استجاب الله له فقال تعالى : { أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا } الاية وقال تعالى : { إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين * فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا } وقال في هذه القصة { رب اجعل هذا البلد آمنا } فعرفه لأنه دعا به بعد بنائها ولهذا قال : { الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق } ومعلوم أن إسماعيل أكبر من إسحاق بثلاث عشرة سنة فأما حين ذهب بإسماعيل وأمه وهو رضيع إلى مكان مكة فإنه دعا أيضا فقال : { رب اجعل هذا البلد آمنا } كما ذكرناه هنالك في سورة البقرة مستقصى مطولا .

وقوله : { واجنبني وبني أن نعبد الأصنام } ينبغي لكل داع أن يدعو لنفسه ولوالديه ولذريته ثم ذكر أنه افتتن بالأصنام خلائق من الناس وأنه تبرأ ممن عبدها ورد أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم كقول عيسى عليه السلام { إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم } وليس فيه أكثر من الرد إلى مشيئة الله تعالى لا تجويز وقوع ذلك وقال عبد الله بن وهب : حدثنا عمرو بن الحارث أن بكر بن سوادة حدثه عن عبد الرحمن بن جرير عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم تلا قول إبراهيم عليه السلام { رب إنهن أضللن كثيرا من الناس } الاية وقول عيسى عليه السلام { إن تعذبهم فإنهم عبادك } الاية ثم رفع يديه ثم قال : [اللهم أمتي اللهم أمتي اللهم أمتي] وبكى فقال الله : اذهب يا جبريل إلى محمد وربك أعلم وسله ما يبكيك ؟ فأتاه جبريل عليه السلام فسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلّم ما قال فقال الله : اذهب إلى محمد فقل له : إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك